استلاب الوجود الأنثوي في رواية "خط رمل" لهاجر قويدري

شفيعة أوقاشة *

جامعة تيبازة، oukacha.chafea@cu-tipaza.dz

الإرسال 2026/05/27 القبول: 2026/08/05 النشر: 2026/09/15.

الملخص:

تتناول هذه الورقة البحثيّة موضوع استلاب الوجود الأنثوي في الرّواية النسوية العربيّة المعاصرة ، والذي يتمتّع بأهميّة كبيرة نظرا لارتباطه الوثيق بكينونة المرأة ، وذلك من خلال رواية "خطّ رمل" للروائيّة الجزائريّة هاجر قويدري التي طرحت فيها مجموعة من القضايا المتعلّقة بدور المرأة في تاريخ الوجود الإنساني ، بالاعتماد على مجموعة من الآليات التجريبيّة التي تعين على نقل الوضع المأساوي الذي عانت منه المرأة على مرّ التّاريخ ، حيث تمّ استجلاء صورة الذّات الانثوية في الرّواية أوّلاً ، ورحلتها في سعيها لترميم هذه الذّات ثانيا ، من أجل إثبات هويّتها ووجودها الفعلي الذي يعترف بدورها كعنصر فعّال في المجتمع.

الكلمات المفاتيح: الوجود ؛ الذّات الأنثوية ؛ الاستلاب ؛ التمرد ؛ الهجرة.

The alienation of female existence in the novel “khatt raml” by hadjer kouidri

Abstract: this research paper addresses the theme of the alienation of female existence in contemporary arab feminist fiction, which is of great importance due to its close connection to the very being of woman, this is examined through the novel « khatt raml » by the algerian novelist hadjer kouidri, in which she addresses a set of issues related to the role of women in the history of human existence, drawing on a range of experimental techniques that help convey the tragic condition women have endured

* **المؤلف المرسل.**

throughout history, where the image of the female self in the novel is first explored, followed by her journey in her attempt to restore and reconstruct this self, in order to assert her identity and real existence, and to have her role recognized as an active element within society.

Key words: existence; female self; alienation; rebellion; migration.

1- مقدّمة: يعدّ موضوع استلاب الوجود الأنثوي من أبرز الأسئلة التي تطرحها الرّواية النّسوية العربيّة المعاصرة ، حيث تسعى باستمرار إلى إثبات دور المرأة في التّاريخ البشري أو الوجود الإنساني بصورة عامّة ، من خلال منح المركزية لصوتها في الأحداث وسيرها ، وفي الشّخصيّات كذلك ، بهدف الكشف عن دورها الرّمزي في الوجود. ذلك أنّ ما عانته المرأة ومازالت تُعانيه من تهميش واضطهاد ، هو ما دفعها إلى الانتفاض ضدّ مختلف أنواع الظّلم ، لاسيما المتعلّق بإلغاء وجودها واستبعادها من مركز الاهتمام. فبعدما كانت المرأة تهدف لإثبات وجودها الإبداعي ، أصبحت الآن تهدف لإثبات وجودها الفلسفي العميق.

وقد كانت الرّواية النّسوية المعاصرة ، لسان حال المرأة المهمّشة التي تتأرجح بين الطموح لإثبات ذاتها ، وبين التّاريخ الذي يرفض الاعتراف بها وبإسهاماتها في مختلف مجالات الحياة ، حيث كانت معظم كتاباتها تصبّ في السّعي لاسترجاع هويّتها التي وُلدت معها ، وأحقّيتها في الحصول على مكان لها في مركز الوجود الذي سُلب ومزال يُسلب منها. إن غاية الكتابة الأنثوية هي التّحرر من قبضة القيود ، من خلال الوعي بوجودها المتساوي مع وجود نظيرها الذّكوري الذي تهدف إلى تفكيك قيمه المهيمنة ، تحقيقًا للعدالة الإنسانية وتوازن الوجود بصورة عامّة.

تعد رواية "خطّ رمل" للروائيّة "هاجر قويدري"؛ من التّجارب الرّوائيّة النّسوية المعاصرة التي طرحت سؤال المرأة في علاقتها بالوجود الإنساني ، وتجاوزت النّظرة الانغلاقيّة بخلق مجموعة من الأحداث حول قصص نساء تختلف تجارب حياتهن في الصّراع ضدّ الألم ، وتلتقي أحلامهنّ في الانعتاق من القيود واسترجاع الذّات المسلوبة ، وإظهار مكانة الذّات الأنثويّة ، ومدى إسهامها في خدمة التّاريخ والوجود معًا. **ذلك ما دفعنا إلى طرح الإشكاليّة التّالية: كيف تجلّى استلاب الوجود الأنثوي في رواية "خط رمل"؟ وماهي أبرز آليات تجاوزه؟ ومن ثمّ كيف أسهم التمرد في خلق نموذج أنثوي يتجاوز الهامش إلى المركز؟**

2. تجليّات الاستلاب الأنثوي في الرّواية:

إن المتتبع لمسار الرواية النسوية المعاصرة ، سيجد نفسه أمام موضوع الاستلاب الذاتي الحاضر بطريقة أو بأخرى في كافة النتاجات التي كانت بمثابة سلاح المرأة لمواجهة سلطة الذكورة ، التي لطالما طمست وجودها واستنكرت دورها الفعال في خدمة المجتمع وتطويره ، وذلك دفاعا عن هويتها ورفضًا للنظرة الدونية لها ، معتمدة على مجموعة من النصوص التي تلامس ما يطال الذات الأنثوية من قضايا ، نذكر على سبيل التمثيل رواية "تاء الخجل" للروائية الجزائرية فضيلة الفاروق.

إنّ تجربة الروائية الجزائرية هاجر قويدري فى **"خط رمل"** ؛ تجربة مميزة عن سابق نتاجاتها ، نظرا لطبيعة المسار الموضوعى والقيمى الذي سلكته هذه المرة ، حيث يلمس القارئ ذلك الانتقال الروحى إلى وجودها الإنسانى وتركيزها العميق على إثبات نفسها ، والسعى إلى استرجاع كيانها والاعتراف بدورها الفعال فى مسار التاريخ البشري. ذلك أن المرأة قد اتخذت من الكتابة آلية دفاعية عن كيانها الذي منحت له المساحة الأكبر داخل نصوصها الإبداعية ، التى تُترجم بها مختلف تجاربها التي تلتقي كلها عند كسر الحواجز في متخيلها السردي ، وبناء عوالم دلالية تثبت ذاتها.

تنفتح الرّواية على الخطاب الوجودي بداية من العنوان (خطّ رمل) إلى غاية آخر صفحة من صفحاتها ، الّتي تشرّح تفاصيل حياة شخصيّاتها باعتبار كل واحدة منها ، ولا شكّ في أنّ هذا الانفتاح على الجانب الفلسفي ، يُفصح عن تمكّن الكاتبة الآلي والفنّي في احتواء مادّة شديدة التّعقيد ، من خلال المعجم اللّغوي الذّي كثّفته بمجموعة من المعاني الإنسانيّة العميقة.

إن الاستلاب الوجودي بمختلف أوجهه(النفسية والاجتماعية والفكرية ، الداخلية والخارجية) ، من أبرز الأسئلة المحورية التي بنيت عليها الرواية ، من بدايتها إلى غاية نهايتها ، حيث صورت الروائية من خلاله مختلف المظاهر التي تعانيها المرأة المستلبة ، كالضياع والاغتراب والظلم والمعاناة وغيرها من ممارسات مجتمعية وذكورية تسحق أنوثتها وتسلب كيانها ، وتحولها إلى تلك **" الشخصية المتشردة المعذبة التي فرض عليها التعسف والتشرد والضياع والتمرد ، مما أضفى إلى عدم الشعور بالذات وعدم الاستقرار وحتى امتلاك الحرية"**[1] ، ما دفعها إلى الصمود والتصدي من أجل الانعتاق من قبضة السيطرة والتسلط ، عبر كشف

المسكوت عنه ومواجهة واقعها وبسط أسرارها على صفحات نصوصها التخييلية المختلفة ، التي تحمل تجاربها وخيباتها من الواقع المرير. ذلك ما يمكن أن نستدل عليه بمشهد الاغتصاب الذي تعرضت له يمينة بنت حوطة من طرف ابن عمها خالد ، وبمساعدة من أمه الخالة فريجة ، كبداية افتتاحية تتوزع على كامل نساء الرواية اللواتي تعرضت للظلم والقهر الذكوري. فتقول: **"مثل كلّ مرة ، اقترب خالد نحوي أكثر ، رماني على الأرض وسحبني من شعري...اختنق صوتي وأنا أعاود ضرب الباب من دون فائدة ، وأحاول في الوقت نفسه الانفلات من قبضته القوية...ظلّ يجذب شعري في قسوة باردة...شعرت بفروة رأسي تنسلخ بين يديه ، تمنّيت لو تنسلخ ، فقط لو أنني أهرب منه."**[2] فالمقطع يعكس تعرية الاستلاب الجسدي الذي لطالما عانت منه المرأة عبر التاريخ ، ولاسيما من الأقارب ، حيث تقدم لنا قصة يمينة صورة الرجل الواقف ضد المرأة ؛ الذي لا ينظر إليها سوى كجسد يشبع طلباته متى ثارت شهوته ، أي التعامل معها بوصفها مصدرًا للمتعة ، وملكًا خاصا به.

تجسد يمينة رحلة الظلم والقهر الذين رافقا المرأة ، كما تختزل حياتها المحبطة التي لم تُبصر فيها النور ؛ حياة مليئة بالانكسارات والخيبات المتتالية (موت زوجها البودالي ، اغتصابها...إلخ) ، فعبرت عن ذلك بقولها: **"أنا يمينة بنت حوطة من عرش بني مسلم ، لم أفهم شيئًا من حياتي القصيرة ، لم أختبر أمرًا عظيمًا غير العذاب والانتظار. أنا يمينة بنت حوطة من عرش بني مسلم.. ودعت حياتي وهي مفتوحة كنافدة"**[3] ، حيث يشير المقطع إلى حالة من العدمية ولا جدوى الحياة التي تعيشها يمينة التي كبلتها الأعراف والمجتمع ، وصيرتها كائنًا ضبابيا لا يُعترف به. ذلك هو الاغتراب في أسمى صوره التي تتحول فيه المرأة إلى الحاضر جسديا والغائب روحيا نتيجة الواقع الممزق المنفصلة عنه وجوديا.

يُمثل الاغتصاب أحد أبرز أوجه استلاب الوجودي الأنثوي في الرواية ، الذي عانته منه شخصيات الرواية لاسيما في مرحلة العشرية السوداء التي استباحت أجساد النساء ، حيث منحت لها الروائية نصيبها الأوفر للتعبير عن استلاب الوجود الأنثوي ، وترجمة واقع اجتماعي أليم تتغبط بداخلة المرأة ككائن لا حول ولا قوة له. فالاغتصاب **"فعل عدواني ذكوري ، يختزل المرأة إلى مجرد عضو جنسي يعبر به الرجل عن فحولته... وهذا يثبت أن الرجل لم يستطع في واقع اجتماعي قاهر إدراك أن المرأة ، كيان مستقل عنه ، نظر إليها من خلال ذاته وغريزته واختزلها إلى جنس مصدر اللذة"**[4] ، إذ لا يتعدى وجودها مجرد جسد مادي يُستهلك لغاية التسلية وإشباع غريزة التملك لدى الذكر الذي يتلذذ بنهش لحمها واستغلال ضعف

حيلتها ، باعتبارها جنسًا لطيفًا لا يقوى لمواجهة قدرات الرجل الذي يحتل المركز داخل المجتمع.

وإلى جانب يمينة بنت حوطة ، نجد مشهد اغتصاب ماجدة شيحاني ، بطلة الرواية وكاتبة ذكرياتها(ابنة الإرهابي مراد شيحاني) ، من طرف ياسين(ابن جارتهم الخالة علجية) ، الذي يزيد من ترسيخ فكرة الهيمنة الذكورية التي **" لا ترى إلى المرأة بوصفها كياناً إنسانياً مستقلاً ذا حرمة ، بل هى موضوع تسخير خاضع لسلطان الرجل المادي والمعنوي"**[5] ، وهو ما يجسد أنانية الرجل وتضخمه الذاتى اتجاه المرأة واحتقاره الدائم لها. ذلك ما يمكن التمثيل له بما حدث لماجدة التي انفجرت في وجه أمها من حدة الألم والانكسار الروحي الذي تعرضت له. فتقول: **"ما فعله بي ياسين يا أمي كان كبيرا مستعصيا على الفهم...اعترض طريقي ودفعني بقسوة إلى بيت الصابون وسرق مني شرفي ، لقد صرخت طويلا ولم يسعفني أحد"**[6] ، إذ يصور المقطع ظاهرة تواطئ المرأة ضد المرأة بحجة أن ياسين رجل ومن حقه أن يفعل ما يشاء بما في دلك العنف الجسدي ، الذي يُمارس في حقها عبر التاريخ ، ما أدى إلى فقدان كيانها الأنثوي وعدم امتلاكها روحًا ولا كيانًا خاصا ، ولا وجودًا يصون كرامتها ويعترف بهويتها.

تتقابل صورة المرأة المُغتصبة في الرواية مع صورة الوطن المُستَعمَر ، فمثلما ينهش العدو المُحتل أرض الوطن ويغتصب ترابه ، ينهش المُغتصب جسد المرأة ويَسلبها شرفها بكل وحشية وبلا رحمة ، وهو ما ينعكس سلبًا على روحها فيما بعد ، فتفقد طُعم الإحساس بوجودها الفعلي ، وتخلق عندها عقدة النقص والتهرب من مُجتمع ذكوري يستغل ضعفها لإشباع رغباته التي تنم عن حقد وضغينة ضدها. فتتحول المرأة إلى فريسة يقتات منها كلما راوده الجوع الجنسي. ذلك أن **" العلاقة بين الذكر والأنثى لم تكن سليمة ، وإنما كانت علاقة السيد بالعبد أو مُستَعمِر بمُستَعمَر أي فتح وسيطرة من جانب ورضوخ واستسلام من جانب آخر"**[7] ، ما يعني أن المرأة مجرد آلة يستخدمها الرجل متى يشاء ويرميها متى يشاء ، تعيش تحت إذلاله غير الإنساني وعنفه الهمجي الذي يختبأ وراء قناع البشر. ذلك ما عبرت عنه يمينة بنت حوطة قائلة:**" أعادني مُعذبي مرةً أخرى إلى أعلى الحوش...ظل يسحبني حتى أدخلني غرفتي ثم هوى على جسدي كأنما سقط هو والسقف فوقي"**[8] ، وهو ما يعكس بشاعة الاعتداء لدى المرأة التي لا تتحمل لا جسديا ولا معنويا ، حيث تتحول حياتها إلى جحيم تتغبط بداخلة ، وتنحصر ذاكرتها في الاستحضار الدائم لوحشية ما حدث معها. فتُصبح بعدها أسيرة لآلامها ومعناتها ودفعها ثمن أخطاء لم يكن لها يد فيها ، ليكون دنبها الوحيد في كونها امرأة.

إن الاستلاب الوجودي عند المرأة ، هو ذلك العالم المظلم الذي تكون فيه غريبة عن نفسها ماديا(جسدها)، ومعنويا(روحا)، ما يجعلها تعيش حالة من العزلة التى تفرضها **"ظروف معيشيّة مُعينة ، يهتزّ فيها الضمير الإنسانى ، وتتفكك منظومته الاجتماعيّة والنّفسيّة ، ويتعرّض بسبب الظروف القاهرة إلى تشوّهات أخلاقيّة وثقافيّة ومعرفيّة تؤدي إلى هيمنة الاستلاب بوصفه ظاهرة تحكم علاقة الإنسان بوجوده"**،[9] أي أن ما يرغم المرأة على الانزواء والانغلاق على نفسها هو ذلك الجحود الذي تواجهه فى بيئتها الاجتماعية التى تراها مجرد مخلوق ضعيف تُمارس فى حقه شتى أصناف المعاناة ، دون أن يحق لها الاعتراض أو الدفاع عن نفسها ، لأن السلطة بيد الرجل الذي تدفع هى ثمن أفعاله وسلوكاته العدوانية تجاه أنوثتها. ذلك ما عبرت عنه يمينة التي تعرضت لأشد أنواع الظلم الاعتداء. فتقول:" **لا أعرف كيف وصلت بي الأمور إلى هذا الحدّ؟ ولا كيف زالت عني تلك الهيبة المريبة؟ منذ جاءت خيّالة الباي إلى جراح وأحرقت إقامتي وماشيتي وعولتي بالكامل بعد أن هزمهم مولانا البودالي وأنا هنا بلا سند**"[10] ، إذ يصور المقطع ظاهرة العنف ضد المرأة ، لاسيما تلك التي لا سند لها ، حيث دفعت الولية يمينة بنت حوطة ثمن ولائها لزوجها بتشريدها وبقائها بلا مأوى.

ورواية **"خط رمل" ؛** هي مشروع روائي يهدف لإثبات علاقة المرأة بالوجود عبر التاريخ وإسهاماتها المختلفة في خدمته ، من خلال نقل شعورها بالاغتراب الذاتي الذي صنعه الاغتراب الاجتماعي بالضرورة ، حيث يولد لدى المرأة باعتباره ظاهرة نفسية**" تجعل المرء يحس بأنه غريب في هذه الدنيا ؛ بل غريب عن نفسه ، لا يشعر أنه مركز العالم"**[11]**،** حيث تتجلى الذات كصورة باهتة لا لون لها ولا حياة ؛ إنها حالة العدم التي تنتاب الذات الأنثوية في صراعها مع العالم الخارجي المستنفر منها ، وفي سعيها الدائم إلى خلق مكانة خاصة بها تليق بجنسها كامرأة لها حقوقها في هذا الوجود. بالإضافة إلى التخلص من كونها عالة على المجتمع ومصدرا لجلب العار الذي لا ذنب لها فيه كي تدفع ثمن ما لم ترتكبه عن رغبة وإرادة ، وإنما بسبب الرجل الذي لم تجد فيه الأمان والملجأ ولا المخلص ، بل على عكس ذلك ؛ كان هو المعتدي والظالم والمُدين لها فقط لأنها أنثى. ولعل ما فعله أخ يمينة بنت حوطة حال سماعه باعتداء ابن عمها خالد عليها خير دليل على استضعاف المرأة وطعن شرفها. فتقول يمينة**: "اختلست النّظر من شق صغير في الباب ، فرأيت أخي سعد وهو يتحدّث مع الخالة فريجة ، ومن ورائهما كل أهل المدينة ، انقبض قلبي ، وبدأت أتهيّأ لنهاية ما وأنا أسمع سعد**

يقول:- سوف أقتلها.. لا بل سأحرقها وهي حيّة"[12]**،** حيث يعكس المقطع ذروة العنف ضد المرأة بأن تدفع ثمن لم ترتكبها ، فلم يكفيها بشاعة الاغتصاب الذي تعرضت له ، بل وأن تُحرق وهي حية ، باعتباره طقسا من طقوس غسل العار والتخلص من آثاره ، دون أن يكون لها حق الدفاع عن نفسها و شرفها الذي سُلب منها بكل وحشية وشراسة لا تمت للإنسانية بصلة. فما قامت به الخالة فريجة لم يكن سوى ترسيخًا لتضخيم صورة الذّكر الذي ينص العرف الاجتماعي على الإعلاء من شأنه ، ووضع المرأة تحت سيطرته حتى وإن تعدى على شرفها فلن يكون عليه شيء ، حيث سعت الخالة فريجة جاهدة إلى إخفاء جريمة الاعتداء الشنعاء ضد يمينة التي أجبرتها على التزام الصمت حفاظًا على روح الإثنين.

والصمت هو أبشع مظاهر الاستلاب الذي عانت منه شخصيات الرواية ، لاسيما تلك التي تعرضت للاغتصاب ، وهذا ما حدث مع يمينة أثناء رغبتها في كسر حاجز الصمت ومصارحة الخالة فريجة بما فعله بها ابنها خالد ، لكن هذه الأخيرة تنفجر في وجهها وتحذرها من فضح ابنها. فتقول:**".احكمي فمك ، ساعد يقتلك ويقتله"**[13]**،** إذ يمثل المقطع دليلا قاطعا على هيمنة النسق الذكوري ، والخضوع الأنثوي المطلق له ، فمن ألم الاغتصاب الذي يعيشه الجسد ، إلى ألم الصمت الذي يخنق روح المرأة التي تحلم بالصراخ في وجه طامس كينونتها. ذلك أن الشرف هو ما يصنع وجود المرأة في المجتمع ، وبدونه تصبح مجرد سلعة فاسدة غير قابلة للاستهلاك.

تُفصل أحداث الرواية في آلام المرأة في شكل رحلة بوح طويل ، يُترجم ما عانته ومازالت تعانيه على مر العصور ؛ من تهميش واستنكار واعتداء وتجاهل ، حولوا حياتها إلى جحيم تتأرجح فيه بين الماضي والحاضر ، محاولة إيجاد خيط أمل ينقدها من الضياع الذي تعيشه وسط عالم سلب منها **"إرادتها ورغبتها فأصبحت مشوهة ، بعد أن أصبحت تسير بقوة خارجية حتى فقدت دورها المميز لها"**[14]**،** إذ صارت جسدًا بلا روح ، تهيم داخل دوامة الفراغ الموحش باحثة عن فتحة نور قد تجبر انكسارها الذي سلب منها روحها ووجودها الفعلي. إنها الحالة المأساوية التي تعيشها يمينة التي تبوح بوجعها قائلة: **"أصبحت أرى كلّ شيء بعيون الفقد ، لم أعد أعترف بأيامي السعيدة الماضية ، ما دامت قد انتهت ، عبثا أقوم باستعطاف الذّاكرة من أجل ابتسامة عابرة أو لحظة امتنان ، ما أسعدني ضيعني ، وما ضيّعني لا يمكنه أن يعيدني إلى أوّل القلب"**[15]**،** حيث تعيش الذات الأنثوية حالة من الحرمان من حقها الشرعي المتمثل في السعادة في الحياة والتمتع بوجودها.

والذات الأنثوية ؛ هي المرجع الأساسي الذي تقوم عليه الرواية ، من خلال موضوع الاستلاب الوجودي الذي تعاني منه المرأة داخل المجتمع الظالم ، حيث يشير إليها بأصابع الاتهام ، ويُنسب إليها صفات تجرح أنوثتها ، كأن تُنعت بابنة الإرهابي من طرف السلطة الذكورية التي حولتها إلى ميدان لممارسة شتى أنواع العنف ، ما أدى إلى تشوه صورتها الاجتماعية. ذلك أن **" الطابع الاجتماعي للإنسان من تأثير المجتمع وليس العكس ، إنه واقعه الاجتماعي المُستلب"**[16] ، ما يعني أن للمجتمع دورًا تأثيريا بارزًا في رسم صورة المرأة وتحديد هويتها ومكانتها ، فإما أن يعلي من شأنها ، وإما أن يكون مصيرها الحضيض أين لا يعترف بها أصلا. الأمر ذاته حدث مع ماجدة التي عاشت طوال حياتها خلف شبح ابنة الإرهابي. فتقول:**" ابنة الإرهابي كان هذا الاسم الذي رافقني طوال طفولتي ، طوال مراهقتي"**[17] ، إذ كان والدها ضد الإسلاميين لاسيما في غلق دور السينما فهددوه بالقتل واعتبروه إرهابيا ، لتدفع هي ثمن ذلك بأن عاشت حياتها ظلما وتعسفا تحت رحمة الإرهاب الذي شوه صورة البلد ، وحولها إلى خرابة وجودية تتخبط بداخلها الأرواح. تقول ماجدة:**" كانت الأوضاع بائسة والإرهاب يخطف لون البلد الأبيض ، وكان تاريخ زوجها السي طاهر السياسي يجعلها تحت طائلة التهديد"**[18] حيث يمثل الإرهاب الجانب الأكبر من مأساة الوجود الأنثوي أين عمت فيه الاعتداءات الوحشية ، وأصبحت المرأة غنيمة التطرف الديني وحقا متاحا لهؤلاء المتسلطين الذين يتلذذون بنهش جسدها وتعذيبها بأبشع الطرق.

فالمحيط الاجتماعى هو العنصر الرئيسى فى شعور الشخصيات بالاغتراب الدّاخلى والنّفسى ؛ اللذان يؤديان إلى الانكسار والتشظى الوجودي ، و**"شعور الفرد أنه غريب عن ذاته ، لا يجد نفسه كمركز لعالمه ، وأنه خارج عن الاتصال بنفسه كما هو خارج عن الاتصال بالآخرين"**[19] ، حيث يتحول المكان إلى شبح تضيع بداخله الذات ، وتدخل في دوامة من الفراغ الروحي ؛ إنه اغتراب الذات عن ذاتها ، وهو ما أقرت به ماجدة شيحاني في المقطع الآتي:**" الشيء الوحيد الذي تغير هو شعوري الآن بأنني على حافة كل شيء ، حتى الهرب لابد أن ينتهي يوما ما ، لتبدأ بالتراجع رويدا رويدا إلى داخل نفسك ، إنّنا نهرب من أنفسنا ونعتقد أنّنا نهرب من الأمكنة"**[20] إذ يعكس المقطع ذلك الشرخ الروحي الذي تعيشه المرأة وسط بيئتها التي تحولت من مكان مادي إلى مكان معنوي ذي بعد روحي عميق ، يتصل بالذات الإنسانية ولا ينفصل عنها أينما ذهبت ، وهذا ما يبرر اغترابها النفسي الذي تعيشه وشعورها بعدم الانتماء للمكان.

ولعل ما حدث مع شخصية "دوجة زوجة أحمد فياض" ، يعكس ذلك الاستنكار الذى عانت منه المرأة ويطرح وجهًا آخر من الاعتداء الذي يَفرض عليها حتمية الهرب ، من أجل النفاذ بنفسها من دفع ثمن إشاعة لا أساس لها من الصحة (اعتبار زوجها أحمد فياض إرهابيا). الأمر الذي أفقدها الأمان وجعلها تعيش في هاجس الخوف من وضعها الذي ، والاستسلام لفكرة كونها زوجة حركي. فتقول:**"" أنا في النهاية أرملة حركي ، خدم فرنسا في جيش بلونيس ، تريد فرنسا تقديم إعالة لأطفاله جراء ولائه الكبير لها ويريد الخاوة الانتقام من أولاده وزوجته"**[21] ، أي أنه دوجة واقعة بين نارين ؛ الأولى رفضها لأي خدمة من طرف فرنسا ، والثانية إصرار الجبهة على الانتقام منها ومن أولادها بحجة ولائهم المزعوم لفرنسا. فبعد كل ما قدمه زوجها من تضحيات في سبيل استقلال الجزائر ، ينتهي بها المصير إلى البحث عن مسلك للخلاص من ظلم القريب الذي كان أشد قسوة من ظلم البعيد المُستَعمِر.

وهنا ، تغدو الهجرة مرآة عاكسة للاستلاب الأنثوي ، تلجأ إليها المرأة المقهورة في مجتمعها بعد أن تُصاب بخيبة أمل ، فبدلاً من احتوائها كامرأة ضعيفة ، يتم تعنيفها وتسليط أشد أنواع الظلم عليها ، نظرًا لعدم امتلاكها سندًا تحتمي به. ذلك أن الشعور بالاغتراب ناتج عن فقدان الأمن والأمان. فدوجة كانت تنتظر غير ما حدث معها تماما. وهو ما عبرت عنه بقولها:**" كان كل شيء في داخلي يرتعد ، منذ الليلة التي جاءني فيها محمد بلهوان المجاهد الوحيد الذي لا يزال يهتم بي ويعيل أسرتي الصغيرة ، أبلغني بصعوبة بالغة وبدموع خانقة أن بعض قياديي الثورة يريدون أخذ أطفالي مني ، بحجة أن والدهم كان مع جماعة بلونيس ، كنت كما ريشة في مواجهة إعصار مريع ، أعيد على نفسي ما قاله لي وأنا لا أصدق"**[22] ، حيث عانت من مطاردة مريبة من طرف جبهة التحرير الوطني بتهمة كونها زوجة إرهابي ،ما دفعها إلى الهروب لمارسيليا ظنا منها بأنه الخلاص ، لكن سرعان ما تصطدم بحادثة اختطاف أولادها الثلاثة في إحدى الحدائق. فتضيف قائلة: **"ذهبت إلى الكشك المقابل حتى أشتري بعض البسكويت الإضافي ، لقد مشيت مسافة 150 مترًا لا غير. وعندما عدت لم أجدهم...كان القهر عظيمًا ، كان الوقع عاليا ، كان البحث في كل الاتجاهات ...عند تمام الواحدة زوالا بتاريخ 23 مارس 1963 علقتني باريس على مدخل حديقتها ، لوكسمبورغ ، سلبت عقلي أمام بركة الخضاري لمدة18 يومًا قبل أن تقوم السلطات الاجتماعية بنقلي إلى مصح للأمراض العقلية...أنا دوجة قاضي.. ودعت حياتي وهي مفتوحة كنافذة"**[23] ، وهو ما ضاعف من حدة معاناتها بعد فقدان أولادها ، حيث تدمرت نفسيتها وأصبحت خارجة عن العالم الذي يحيط

بها ، ومختلة عقليا ، لينتهي بها الأمر في مستشفى الأمراض العقلية كملجأ حتمي اختاره لها الظلم البشري الذي ظل يستنزف ذاتها حتى سلبها كيانها وفصلها عن حياتها.

وفي سياق الظلم باعتباره قاسمًا مشتركًا بين شخصيات الرواية ، تحضر قصة سلمى والدة ماجدة شيحاني التي أخذت بدورها نصيبها من الاستلاب والاغتراب الوجودي ، حيث كان الانفصال التام عن العالم مصيرها الأسود بسبب إصابتها بمرض الزهايمر الذي زاد من حدة اغترابها ، وعمق فراغها الروحي وانعزالها الوجودي ، ومن ثم القهر الذي" **يحول بين الإنسان وبلوغ مقاصده ، أو ما يمنع الفرد أن ينجح في حل ما يشغله من صراع**"[24] ؛ إنه القهر الذي عبرت عنه ماجدة بقولها: **"هل نسيت من تكونين؟ أتوجه بالحديث إلى أمي ، وأنا أقترض الابتسام من خططي المحطمة ، تُحدق في والدتي باستياء ، ثم تسهب في شروح حول مرض الزهايمر ، وكيف أنها تتعرف عليها كلما عاد إليها بعض الإدراك**"[25] ، ما يعني عدم إحساس دوجة بمن حولها بما في ذلك ابنتها. فتلجأ إلى الرسم كأداة للتنفيس عن حجم المعاناة التي عاشتها منذ طفولتها بسبب تعرضها لحادث زلزال الأصنام سنة1956 ، حيث وقعت تحت الدمار وانتشلوها من تحت الأنقاض ، لتظل صدمة ترافقها حتى في كبرها ، أين واجهت معاناة أشد من ذلك ، كالمرض وفقدان زوجها المتهم بالتعامل مع الإرهاب ، وهو ما زاد من تعاستها وضياعها.

من هنا ، كانت صورة أم ماجدة الوجه الجديد الذي ستظهر به حياة ماجدة التي ستكون مليئة بالألوان الجميلة ، كما أنها إعلان عن التحدي والوقوف بوجه الحياة ، والعمل على إعادة بنائها بلم شتات الذات وترميمها. فتقول:" **بدأت والدتي بعد أيام في رسم لوحة ديلاكروا...إنها ترسم ، والدتي ترسم من جديد**"[26] ، إذ تفتح ماجدة من خلال هذا المقطع خطًا جديدًا يُبشر بحياتها الجديدة مع والدتها ، في شكل شعلة أمل باسترجاع ما ضاع منها ، ومن كافة النساء اللواتي شاركن معها الألم والقهر والمعاناة.

3.التمرد بوصفه آلية لتحقيق الكيان الأنثوي: يتجلى فعل التمرد في الرواية النسوية المعاصرة باعتباره رغبة وإصرارًا على تجاوز الأنساق الثقافية السائدة في المجتمع الإنساني ، الذي تُسيطر عليه السلطة الذكورية المختلة لمركز الوجود. فاعتمدت على التمرد كآلية للبوح بالمسكوت عنه في المجتمع الذي تنتمي إليه ، ومن أجل تحرير ذاتها من قبضة الظلم والاستبداد ، وإخراج نفسها من دائرة التهميش غير الإنساني الدي تعيشه ، حيث تجلت الذات المتمردة في الرواية من خلال نبرتها الشرسة التي جاءت" **مشحونة بالاحتجاج والرفض لوضع**

المرأة العربية المتخلف في مجتمعات تكرس سلطة الرجل وتستلب وجود المرأة وكيانها"[27] ،إذ تنتفض المرأة ضد هذا الكائن الذي قيد حريتها بسلاسل التسلط والاستقواء عليها ، فتسعى لبناء عالمها الخاص الذي يحتضن كيانها كامرأة حرة لها دورها الفعال في تشييد المجتمع ، ومن ثم ، التخلص من فكرة اعتبارها عالة وعارًا على هذا المجتمع.

وقد برز "**القتل**" كأهم آلية من آليات التمرد ، الذي اعتمدت عليه المرأة للنجاة من قبضة الرجل المتوحش ؛ المتنكر في هيئة إنسان ، من أجل استعادة حقها والأخذ بالثأر لشرفها وأنوثتها المغدورين عبر تفعيل غريزة التمرد التي تتولد عن" **معاناة الفرد من إحساسه بالإحباط والغضب والرغبة في التعبير أو الاحتجاج والتحطيم والعدوان"**[28] ، وهذا يعني أن فعل التمرد هو بمثابة رد فعل على الحالة المأساوية التي تعيشها المرأة ، ونتيجة اعتداء وحشي على أنوثتها التي يُنظر إليه كجسد يثير الشهوة ويُشبع الغريزة الجنسية لدى الرجل الذي ينهش لحمها دون رحمة. ذلك ما حدث مع يمينة بنت حوطة التي أقدمت على فعل القتل وهي في ذروة انهيارها ، من أجل استرداد حقها ولو بعد اغتصابها من طرف خالد ، حيث نجدها سعيدة بهذا الفعل ، فتقول:" **أطلق ضحكات مدوية وهم بمغادرة المكان ، شعرتُ بدم ساخن يسري في كامل جسدي ، ثم تحسست المنجل المخبأ في صندوق أغراضي ، أمسكت به جيدًا.. قفزت بكل طولي وغرسته في رقبته...قتلت خالد الذي دنّس شرف المولى البودالي...كانت القاتلة في مزهوّة"**[29] ، إذ كان هذا الفعل تمردا ممزوجًا بالضعف والاستسلام من جهة ، والقوة والصمود من جهة ثانية ، فمن خلاله حققت يمينة نشوة الانتصار على خالد بقتله وتخليص العالم من حقارته ، ومن ثم ،ردعًا لكل أشكال الاعتداء على المرأة واستغلال قلة حيلتها.

لعل مثل هذه الممارسات (الاعتداء الجنسي) وغيرها ، هي التي دفعت إلى التهرب من المجتمع واللجوء إلى **"لهجرة"** باعتبارها المنفذ الوحيد الذي يمكن للمرأة أن تحقق فيها كيانها ووجودها الفعلي. من هنا ، تتجلى الهجرة كقيمة للتمرد على القهر وانعتاق الذات ، و" **رحلة الخلاص أو الهروب بحثًا عن اكتشاف صورة الذات في "الآخر الخارجي" ، بعد أن غطاها وحجبها الآخر الداخلي المُهيمن مرة باسم" الأخلاق الأصيلة" ومرة باسم "الدين"**[30] ، إذ استطاعت المرأة ، وبفضل الهجرة ، أن تُعيد ترتيب حياتها وتلم شتات ذاتها ، وتقف بتحد أمام الوجود الذي قررت مواجهته والعمل على تغيير مساره بالتركيز عليها ودن أي شيء آخر. ذلك ما حدث مع ماجدة شيحاني ؛ الأستاذة الجامعية التي دفعها القهر إلى الهجرة لفرنسا ؛

تمردت واختارت طريقها الخاص على عكس الشخصيات الأخرى، حيث رفضت أن يُوجه مصيرها، وقررت إعادة بناء الحياة حسب رؤيتها. فتقول :**"هناك فيضان سيحدث في حياتك سواء تفطنت للأمر أم اعتقدت أنه مجرد قانون للصعود في الحياة الهبوط منها، سوف تصعد إلى سفينتك، وعليك أن تتخلى عن الكثير من الأمور حتى تنجو، سوف تلتقي بالغمر، وتقارب الغرق وانقطاع النفس حتى تفتح عيونك بالشكل المطلوب لتُرتب كل شيء من جديد"**[31]، حيث قررت ماجدة أن تُعيد ترتيب حياتها من البداية، بالشكل الذي تُريده وتقرره هي، وليس المجتمع ولا الرجل، لتعتنق لذة الحرية في اختيار نمط عيشها، ورسم طريق مستقبلها بيدها.

تمثل ماجدة صورة المرأة الثائرة المتمرد التي أكسبتها الهجرة ثقة وقوة وقدرة على مواصلة الطريق نحو أحلامها، حيث ابتعدت من أجل فك مغاليق حياتها وإعادة ترتيبها من جديد. فتقول :**" أنا الآن في الهاوية، الواسعة والقديمة....مزار يمينة بنت حوطة الموجود في رجاس بميلة مسقط رأسي، وأعتقد أنّه يتوجّب علي أن أفكّك الخيوط خيطًا خيطًا...أردت الهروب الكامل من حياة باردة وخائفة، أردت مسح كل شيء من ذاكرتي، حتى إنني لم ألتفت ولم أودع أحدا، ما كان في رأسي هو القطع وليس الوداع"**[32]،إذ رأت بضرورة مواجهة الحياة من أجل التخلص من واقعها المرير، وذلك بفك خيوطها التي تتضمن معاناة المرأة عبر التاريخ، وتشييد مكان لها في الوجود.

يعد العمل مصدر قوة ماجدة في الغربة وهو الذي أثبت وجودها الفعلي، وصنع لديها الوعي الذي زادها إدراكًا بكينونتها وما تحمله من امتيازات حُرمت منها دون أي حق، حيث تضاعفت قوتها أمام كل من يحاول أن يدوس على كرامتها أو يحاول تحطيمها، لاسيما العادات والتقاليد التي قيدتها تحت رحمة وسيطرة الرجل الذي يعتبر سلطان المجتمع ومسيره، الأمر الذي دفعها إلى التمرد والانتفاض ضد هذا المصير المجحف الذي لا تملك فيه حتى جسدها. لهذا، فهي**" مسكونة بفكرة الانعتاق والبحث عن فضاءات أرحب للحرية والجرأة المشحونة بالاحتجاج والرفض للعوائد والأعراف الذكورية الاجتماعية"**[33]، بمعنى أن المرأة لن تحقق وجودها إلا من خلال التمرد كحل ضروري لضمان استمرارها في الحياة، حيث تقف في وجه القيود وتعمل على فكها والانفلات من قبضتها التي حولت حياتها إلى جحيم. وكل هذا بفضل العلم الذي فتح لها باب الوجه الجميل من الحياة؛ وجه الحرية وتحقيق الأحلام. ذلك ما عبرت عنه ماجدة بقولها: **"وصلت إلى مرحلة تشبه التخدير تمامًا،**

اشتغلت فيها إلى حدود لم أتخيل أنني سأبلغها ، أحببت عملي ودويت داخله ، ذهبت إلى مساحة البيانات والمحاكاة وعرفت أن هناك قوة جبارة في التعقيد المتقن"[34]، إذ مكنها العمل من اكتشاف أسرار الوجود ، ومن إدراك قيمة ذاتها كأنثى حرة لها دورها الدي لا يُستهان به في تحقيق توازن الحياة التي لا تكتمل بوجودها.

إن الغربة كانت بمثابة الحضن الذي احتوى أحلام ومستقبل وحياة ماجدة ، حيث كانت نقطة تحول مهمة في رسم مصيرها وطريقها نحو إثبات ذاتها وبجدارة ، ما يعكس دور المجتمع في بناء نموذج أنثوي سليم ، لأن ما وجدته في الغريب لم تجده في القريب ؛ هدا الغريب الذي وفر لها البيئة الملائمة لاستظهار قدرتها على التفوق والنجاح وتقديم إضافة للوجود. فتقول: **"أكملت دراستي في الجامعة بتفوق وتخصصت بعد ذلك في الماجستير والدكتوراه في الفيزياء النظرية"**[35] ، وهو ما ساعدها على فهم تفاصيل جد دقيقة وعميقة في الحياة التي أصبحت تُسيرها كما تشاء ، وليس تحت سيطرة أحد. فمن منفذة الأوامر إلى صانعة القرارات.

وبنبرة من التحدي ، تقف ماجدة أمام شخصيتها الجديدة ، وتقرر بأن يكون مسارها نحو الأمام دون الالتفات للماضي الأليم ، متمردة على ذكرياتها ومعاناتها لاسيما بعد تعرضها للاغتصاب من طرف ياسين الذي ترك فيها جرحا عميقًا تطلب منها وقتا طويلا لتجاوزه ، حيث أعطت لنفسها فرصة النجاة. فتقول:**" لن أعاتب نفسي مرة أخرى ، سوف أقف تحت هده السماء الجديدة ، ولن أتذكر سُحبي الماضية أبدًا"**[36]،إذ قررت تجاوز كل العقبات التي مرت في حياتها ، وأن ترحم نفسها ، وتطرق بابًا جديدًا ينفتح على حياة مليئة بالإنجازات التي تحقق اكتفاءها الذاتي ، من خلال وضع حد لماضيها المأساوى ، ومنح نفسها الحق فى التمتع بحريتها التى تعد أداة للوعى بذاتها فى علاقتها بمحيطها ، وسبيلاً لإضفاء المعنى الحقيقى على وجودها المُستلب وكيانها المهمش ، بسبب هيمنة مجتمعها الذكوري. ذلك ما عبرت عنه في المقطع التالي:**" خرجتُ إلى شوارع مدريد ، وبدأت بالتدريب في صالة رياضة ، ثم أخذت دروسًا في اللغة الإسبانية ، لم أكن أعرف ماذا أفعل بحياتي ، ولكنني كنت على يقين بأنني لن أعود إلى عوالمي القديمة أبدًا"**[37] ، إذ بدأت تحس بلذة حياتها المستلقة والمتحررة من قيود المجتمع الذي كبلها روحيا وجسديا ، حيث ملأت فراغها الداخلي ، واسترجعت استقرارها النفسي ، من خلال تجاوز الماضي الأليم والمضي قدمًا نحو مستقبل أفضل.

وفي وجه تمردي آخر ، تبرز شخصية دوجة التي نلمس فيها ذلك الإصرار على الوقوف ضد الظلم الذي طالها ، من خلال سعيها إلى إثبات انتمائها لوطنها الجزائر ، ورفضها الشديد لاعتبارها زوجة خائن للوطن. فهي الشخصية التي تُجسد صورة المرأة المناضلة والمناصرة لقضية بلدها الذي وإن ابتعدت عنه جسديا ، إلا أن روحها مسكونة به أينما ذهبت ، وهو ما يجسد أبرز القيم التي تتمتع بها المرأة وهي الإخلاص ، حيث رفضت كل الامتيازات التي قدمتها لها فرنسا تحت مسمى "زوجة الحركي". فتقول :**"قبلت تسجيل أطفالي لدى الإدارة الفرنسية على الأقل من أجل الدراسة ، لكنني لم أقبل المنحة أبدًا... كتبت إلى سميحة ، وأخبرتها بعودتي إلى فرنسا ، أخبرتها أنني لم أقبل تسجيل نفسي كأرملة حركي"**[38]،إذ وقفت في وجه الآخر بكل شجاعة رافضة كل ما يَسلب منها وطنيتها التي تجري في دمها ، لتقدم بذلك نموذجًا للمرأة الجزائرية الصامدة رغم ما لاقته من إلغاء من الآخر القريب ، إلا أنه يظل جزءًا لا يتجزأ من كيانها. وقد كانت دوجة تأكد هذا الإخلاص والولاء للوطن ، من خلال امتداد حبها له في أولادها الذين غرست فيهم نفس الشعور ، حيث ظلت مصرة على كسر الصورة المزيفة التي تنظر إليها نظرة احتقار ودونية ، بحجة أن زوجها قد خان الوطن ، وهو ما دفعها للصراخ في وجه الظلم الذي شوه صورة زوجها الذي لطالما دافع وسعى إلى استقلال وطنه ، فمات من أجله. ذلك ما عبرت عنه في المقطع التالي: **"أحب أن أرى في أولادي ذلك الارتباط بالوطن ، سوف أظل أردد على مسامعهم ، أن والدهم أحب هذه الأرض ، ومات على هذه الأرض "**[39] ، ما يعني أن الوطنية متوارثة ؛ تلعب دورًا فعال في بناء الشخصية القوية ، مثلما هو الحال مع دوجة التي ظلت متشبثة بأصولها ، ومصرة على تبرئة زوجها من أجل تبرئة نفسها وأولادها من ذنب لقب"الحركي" الذي لا يمت بصلة لهم.

تطرح شخصية ماجدة أبرز أنواع التمرد الذي حُوربت من أجله المرأة ؛ إنها "**الكتابة"** التي فتحت لها أبواب الغوص في الموضوعات الكبرى التي تراهن على فكّ مغاليقها باعتبارها **"أداة أخرى لتأسيس علاقة جديدة مع العالم ، واختارت المرأة الكتابة أداة انتقام تصل حدود القتل... لتعطي صورة عن علاقة المرأة/بالكتابة كقيمة تجسّد الكتابة كفعل مواجهة للاحتفاء بالذّات وإثبات حضورها"**[40] ، وهو ما تطمح إليه الكاتبة من خلال مادّة شكلها التاريخ عبر الجمع بين حقب زمنية متنوعة ؛ الفترة العثمانية ثم فترة ما بعد الاستقلال(ما بعد الكولونيالية) والعشرية السّوداء. فتقول في حديثها مع أمها:**" أتعجب من كلماتها ، أود أن أخبرها أنني جمعت كل الأوراق ، وقررت كتابة حياة يمينة بنت حوطة...أفكر في هذا التكرار**

الذي يجمعنا معا ، وأهرب ، أريد ألا أسقط في تقاطعات لطالما رأيتها غير مرتبة ، ولا أريد التورط في الترتيب الذي سيزيد من الضياع لا غير ، أريد جمع أغراضي فقط والرحيل بسرعة من هنا"[41] ، إذ كانت الكتابة منفذا آخر من منافذ الهروب من عالم الصمت الرهيب الذي فُرض عليها ، الأمر الذي زاد من قوتها ورغبتها في ترك بصمتها لتكون قدوة للنساء المستضعفات ، وتنبيهن إلى ضرورة مواجهة القدر وعدم الاستسلام.

فقد تجلت الكتابة باعتبارها" **رفضًا للسائد ، وثورة عليه وتجاوزًا للمحظورات التي حالت دون ممارستها لحقها الإبداعي"**[42] ، وهي الرغبة التي انفجرت لدى ماجدة التي اختارت طريق الكتابة من أجل البقاء ، حيث نلمس سيطرة الأنا الأنثوية وخروجها من دائرة الانقياد. فتقول:**" كنت أبحث عن فعل واحد يجعلني أدخل احتمال البوح ، فعل واحد أبدأ به خيط الحكي...أريد أن أكتب ، رغبتي في الكتابة أيضا شديدة ، أشعر وكأن قرار الكتابة هو نجاتي الحقيقية"**[43] ، أي أن الكتابة هي كيان يتضمن بداخله حياةً تسمح للمرأة بالتعبير عن آلامها وقهرها ، ووضع بصمتها الخاصة ، وبفضلها تُخلد المرأة وجودها في التاريخ الذي لا يموت.

إن الكتابة هي الرابط القوي الذي جمع بين ماجدة ومراد شيحاني ، الذين أصرا على ضرورة كتابة قصة يمينة بنت حوطة ، باعتبارها نموذجًا تمثيليا لمجموعة من النساء اللواتي ظلمهن التاريخ بفعل الاقصاء واستنكار دورهن في خدمة الوجود الإنساني بصورة عامة. ذلك ما عبر عنه مراد شيحاني في المقطع التالي:**" يمينة بنت حوطة؟ أحد أهم أسرار حياتي...اعتقدت لوقت طويل أن قصة زوجها مهمة ، وأنه هو البطل لدرجة أنني سميت الدفتر ب"سيدنا البودالي مول الساعة" ، لكنني غيرت رأيي فيما بعد وعرفت أن يمينة بنت حوطة هي القصة الأهم...لا يخبرنا التاريخ عن النساء مطلقا ، لذلك قررت أن أنظر إلى قلبي وأكتب حكايتها ، أن أسأل الجينات المتغلغلة في مسامي وأفك شفراتها"**[44] ،إذ يجسد هذا المقطع الأساس الذي قامت عليه الرواية ، وهو إعادة المرأة إلى المركز والقول بقدرتها القوية على إثبات وجودها ، من خلال الغوص في المضمر وفك مغاليقه التي تُخفي بداخلها عوالم نسوية كان لها الدور الأكبر في صناعة التاريخ الذي ظلت تُحارب من أجل تدوين اسمها فيه.

فماجدة ، وسرعان ما حققت ذاتها ، قررت العودة إلى أرض الوطن ، وعقدت العزم على التصالح معه ومع أمها ، فبعد أن رفضت كل ما قدمه لها مارك بعد وفاته ، من نطف مجمدة وثروة مالية ، تقف شامخة أمام رفض الاستسلام لمستقبل مجهول. من هنا ، تصبح ماجدة نموذجًا حيا لرفض الصورة النمطية للمرأة في مجتمعاتنا التي تتبنى**" الصورة المرسومة لها**

سلفًا عن ذاتها ، ويتبع هذا ضياع ملامحها الفردية كشخص مختلف ، ولما كانت الفردية تمايزًا واختلافًا في "الأنا" عن" الآخر" كان ضياعها مؤشرًا دالًا على انزواء" الأنا" وذوبانها في الآخر لتصبح مجرد "موضوع" تابع للرجل" الذات"[45]**** ، وهي الصورة النمطية التي كسرتها بفعل التمرد على فكرة عيش دور المرأة الضحية والمستضعفة ، والتخلص من الخضوع. ذلك ما حدث لماجدة حينما رفضت ما تركه لها مارك بعد موته بالسرطان ، من أموال ونطف مجمدة يضمن من خلالها استمراره في حياتها التي خدلها فيها بعد أن تركها. عبرت عن ذلك بالمقطع التالي:**" لا أزال أفكر بالنطف المجمدة والأمومة الممكنة ، هل ما حدث بيني وبين مارك يستحق أن يحلق ثمرة ؟ ...لقد حسمت الأمر وتركته في المطار...قطعت كل تواصل محتمل كان بيننا ، وعلقت حسابات التواصل الاجتماعي ، سمعت بخبر وفاته من البروفيسور غانم"**[46]**** ، إذ استغنت عن كل شيء ومنحت ذاتها حرية اختيارها لما تريد ، حيث بلغ التمرد عندها ذروته ، معلنة بذلك عن أن وراء كل امرأة قوة عظيمة كامنة بداخلها ، تقود بها مصير حياتها التي تحررها من قبضة التاريخ الذي مجد الرجل ، ووضعها تحت سيطرة القهر والدونية.

من هنا ، ترفض ماجدة فكرة أن تكون المرأة **"مجرّد عورة ، والعورة شيء حرام ومقدس ، وبما أنّها رمز لشرف الجماعة فهي تخضع لرقابة الرّجال"**[47]**** ، حيث تجاوزت ذلك إلى القول بقدرتها على احتراف ثنائية الهدم والبناء ، من خلال فعل التخلي الذي غذى تمردها على الواقع ، لتقرر بعدها إعادة بناء حياتها من جديد ، بالعودة إلى وطنها الجزائر بعد خيبة أملها مع مارك ، وترمي بنفسها في حضن أمها راسمة بذلك وجهًا مغايرًا لمصيرها الذي يختلف عن مصير باقي شخصيات الرواية ، ولاسيما مصير يمينة بنت حوطة. فتصرخ عاليًا وتقول :**" سوف أخبرها عن كل شيء حدث معي ، سوف نفتح كل دفاترنا القديمة ، السماء قبل الطوفان ستتلبد ، وسوف تأتي رياح عاتية ، من الضروري أن نفهم معًا كل ما هو قادم"**[48]**** ، إذ يعد هذا القرار بمثابة إعلان عن ميلاد ماجدة أخرى تتجاوز سجن الظلم ، لتُعانق لذة الحرية ومتعة البوح بكل ما يختلج بداخلها دون أي قيد أو خوف.

وبهذا ، تكون ماجدة نموذجًا للمرأة التي **"تريد أن تتجاوز شرط المرأة إلى شرط "الإنسان" هذا ما تريد أن تقوله لنا. هذا ما تريد أن تغيّره في عقليتنا ، وفي وعينا"**[49]**** ، إذ يجب التعامل معها كإنسان له وجوده الخاص وما يحمله من عقل وإحساس وفكر ورؤية للعالم ، وليس كأداة للمتعة وإشباع الغريزة الجنسية ، أو كمخلوق ضعيف لا حول له ولا قوة. ذلك أن

الروائية ، ومن خلال شخصية ماجدة ، تتجاوز النسق السائد حول المرأة في المجتمع العربي ، وتدعو إلى ضرورة منحها قيمتها الحقيقة وكيانها الوجودي المُستقل.

4. خاتمة: نستخلص مما سبق أن رواية "خط رمل" هى مشروع تحرر أنثوي تعكسه صراع الشخصيات الأربعة فى سعيهن إلى إثبات ذواتهن ، حيث تعد حوصلة أو ترجمة للوضع المأساوي للمرأة الجزائرية وما عاشته على مر التاريخ ، بداية من مرحلة التواجد العثمانى فى الجزائر مرورا بمرحلة الاستعمار ، وصولاً إلى مرحلة الاستقلال وما بعدها (العشرية السوداء) ، عبر سلسلة من الأماكن (الجزائر ، باريس ومارسيليا) ، بحثًا عن الاستقرار الذاتى لها فى شكل رحلة تتأرجح بين الماضى والحاضر والمستقبل. تشترك البطلات فى نفس خط الرمل ؛ أي خط الحياة أو المصير الذي رسمته السيطرة الذكورية التى سلبت منهن دواتهن ووجودهن الفعلى ، لكن هذا لم يمنع من وجود أمل فى استعادة هذه الذات والعمل على بناءها والحفاظ عليها ، وهو ما مثلت له الروائية بأشكال التمرد الأنثوي الذي كانت شخصية ماجدة حاملة شعلته ، حيث اختارت لنفسها حياة مختلفة ، وانتصرت بمصير أفضل صنعته بذاتها ومن أجل ذاتها

فالرواية جاءت لتضع المرأة فى مركز التاريخ الإنسانى الذي سلبها ذاتها ، ضمن طرح فلسفى عميق يهدف إلى إثبات دورها باعتبارها خطًا مهمًا من خطوط الوجود ، وما يحمله من قيم كالهوية والتاريخ والانتماء ، ورغم المعاناة التى مرت عليها سواء من طرف الرجل أو المجتمع أو التاريخ ، تبقى المرأة قادرة على الانبعاث من جديد حين يُنظر إليه كجزء لا يتجزأ من الوجود الإنساني الذي لا يكتمل إلا بها.

5- مصادر البحث ومراجعه:

- ابن السايح الأخضر ، سرد الجسد وغواية اللغة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، ط1 ، الأردن ، 2011.
- أبو بكر مرسي ، أزمة الهوية في المراهقة والحاجة للإرشاد النفسي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط1 ، مصر ، 2002.
- أريك فروم ، مفهوم الإنسان عند ماركس ، تر: محمد سيد رصاص ، دار الحصاد ، ط1 ، سوريا ،1998.
- إقبال محمد رشيد صالح الحميداني: الاغتراب ، التمرد ، قلق المستقبل ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، 2011.

- أميرة علي الزهراني ، الذات في مواجهة العالم ، تجليات الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2007.

- بشرى عبد المجيد تاكفراست ، ظاهرة التمرد في الكتابات النسائية ، مظهر للإبداع الأدبي الحديث ، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية ، المجلد 6 ، العدد 1 ، الجامعة الإسلامية العالمية ، ماليزيا ، 2015.

- بوشوشة بن جمعة: الرواية النسائية المغاربية ، دار المغاربية للطبعة والنشر والإشهار ، ط1 ، تونس ، 2003.

- جورج طرابيشي ، الاستلاب في الرّواية النسائية العربية ، مجلّة الآداب ، المجلد11 ، ع3 ، بيروت/لبنان ، 1993.

- حبيلة الشريف ، الرواية والعنف ، عالم الكتب الحديث للنشر ، د.ط ، القاهرة ، 2010 ،

- دراج فيصل وآخرون ، أفق التحولات في الرواية العربية ، دراسات وشهادات المؤسسة العربية للدراسات للنشر والتوزيع ، ط1 ، بيروت ، 1999.

- ريتشارد شاخت ، الاغتراب ، تر ، كامل يوسف حسين ، المؤسسة العربية للدراسات ، ط1 ، بيروت ، 1980.

- سوسن ناجي ، كتابة الذات قراءة في خطاب الهوية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2017.

- فيصل عاطفة ، تحولات الخطاب الأنثوي في الرواية النسوية في سوريا ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 21 ، العدد (1) سوريا ، 2005.

- ماجد موريس إبراهيم ، سيكولوجيا القهر والإبداع ، دار الفرابي ، د.ط ، لبنان ، 1998.

- محمد سبيلا ، مدارات الحداثة ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ط1 ، بيروت ، 2009.

- محمد شاويش ، حسين شاويش ، علم نفس الشخصية المستلبة (مبادئ علم التحليل النفسي الطبقي) ، أرواد للطباعة والنشر ، ط1 ، سوريا ، 2016.

- محمد غرناط ، الهوّية والتّخييل في الرّواية الجزائرية ، قراءات مغربية ، رابطة أهل القلم ، منشورات الثّقافة ، الجزائر ، 2008.

- مريم سليم وآخرون ، المرأة العربية بين ثقل الواقع وتطلّعات والتحرّر ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت/لبنان ، 2004.

- وحيدة بورغدة وآخرون ، المرأة العربية من العنف والتمييز إلى المشاركة السياسية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، د.ط ، بيروت ،2014.

6- الهوامش والإحالات:

1 .محمد شاويش ، حسين شاويش ، علم نفس الشخصية المستلبة (مبادئ علم التحليل النفسي الطبقي)، أرواد للطباعة والنشر ، ط1 ، سوريا ، 2016 ، ص127.

2 .الرواية ، ص09.

3 .الرواية ، ص65.

4 .حبيلة الشريف ، الرواية والعنف ، عالم الكتب الحديث للنشر ، د.ط ، القاهرة ، 2010 ، ص229.

5 . وحيدة بورغدة وآخرون ، المرأة العربية من العنف والتمييز إلى المشاركة السياسية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، د.ط ، بيروت ،2014 ، ص12.

6 .الرواية ، ص95.

7 . فيصل عاطفة ، تحولات الخطاب الأنثوي في الرواية النسوية في سوريا ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 21 ، العدد (1) ، سوريا ، 2005 ، ص18.

8 .الرواية ، ص11.

9 . ريتشارد شاخت ،الاغتراب ، تر: كامل يوسف حسين ، المؤسسة العربية للدراسات ، ط1 ، بيروت ،1980 ص 56 .57.

10 .الرواية ، ص12.

11.أميرة علي الزهراني ، الذات في مواجهة العالم ، تجليات الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2007 ، ص45.

12 .الرواية ، ص24.

13 .الرواية ، ص18.

14 .أريك فروم ، مفهوم الإنسان عند ماركس ، تر: محمد سيد رصاص ، دار الحصاد ، ط1 ، سوريا ،1998 ، ص56.

15 .الرواية ، ص46.

16 .محمد سبيلا ، مدارات الحداثة ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ط1 ، بيروت ، 2009 ، ص32.33.

17 .الرواية ، ص 83.

18 .الرواية ، ص87.

19 . أبو بكر مرسي ، أزمة الهوية في المراهقة والحاجة للإرشاد النفسي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط1 ، مصر ، 2002 ، ص58.

20 .الرواية ، ص79.

21 .الرواية ، ص154.

22 .الرواية ، ص126.

23 .المرجع نفسه ، ص 171.10.

24 .ماجد موريس إبراهيم ، سيكولوجيا القهر والإبداع ، دار الفرابي ، د.ط ، لبنان ، 1998 ، ص18.

[25] .الرواية ، ص200.
[26] .المرجع نفسه ، ص204.
[27] .بوشوشة بن جمعة ، الرواية النسائية المغاربية ، دار المغاربية للطبعة والنشر والإشهار ، ط1 ، تونس ، 2003 ، ص15.
[28] . إقبال محمد رشيد صالح الحميداني ، الاغتراب ، التمرد ، قلق المستقبل ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، 2011 ، ص48.
[29] .الرواية ، ص12.11.
[30] .دراج فيصل وآخرون ، أفق التحولات في الرواية العربية ، دراسات وشهادات المؤسسة العربية للدراسات للنشر والتوزيع ، ط1 ، بيروت ، 1999 ، ص79.
[31] .الرواية ، ص80.
[32] .الرواية ، ص83.82.
[33] .بشرى عبد المجيد تا كفراست ، ظاهرة التمرد في الكتابات النسائية ، مظهر للإبداع الأدبي الحديث ، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية ، المجلد 6 ، العدد(1) ، الجامعة الإسلامية العالمية ، ماليزيا ، 2015 ، ص256.
[34] .الرواية ، ص110.
[35] .المرجع نفسه ، ص109.
[36] .الرواية ، ص117.
[37] .المرجع نفسه ، ص206.
[38] .الرواية ، ص165.164.
[39] .الرواية ، ص132.
[40] - محمد غرناط ، الهوّية والتّخييل في الرّواية الجزائرية ، قراءات مغربية ، رابطة أهل القلم ، منشورات الثّقافة ، الجزائر ، 2008 ، ص 127.
[41] .الرواية ، ص179.178.
[42] .ابن السايح الأخضر ، سرد الجسد وغواية اللغة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، ط1 ، الأردن ، 2011 ، ص13.
[43] .الرواية ، ص206 ،205.
[44] .الرواية ، ص121.120.
[45] .سوسن ناجي ، كتابة الذات قراءة في خطاب الهوية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2017 ، ص44.
[46] .الرواية ، ص180.
[47] - مريم سليم وآخرون ، المرأة العربية بين ثقل الواقع وتطلّعات والتحرّر ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت/لبنان ، 2004 ، ص 50.
[48] .الرواية ، ص99.

[49]- الاستلاب في الرّواية النسائية العربية ، جورج طرابيشي ، مجلّة الآداب ،المجلد11 ، ع3، بيروت/لبنان ، 1993 ص 43.